التوازي في شعر سعدي يوسف(من يعرف الوردة؟ اختياراً)

الباحثة : اخلاص ناصر عباس
الاختصاص: اللغة العربية (أدب)
مُدَرِسة في ثانوية السيدة تكتم للبنات .

خلاصة البحث

تسعى هذه الدراسة إلى إظهار التوازي ، والتعرف على أهم أنواعه، متخذة من ديوان (من يعرف الوردة؟ إنموذجاً) باعتبار التوازي ظاهرة فنية يلجأ إليها الشاعر من أجل تشكيل البنية الايقاعية بابداعاته الفنية، وإثراء النغمة الموسيقية التي تؤثر في عواطف المتلقين ، خاصة وهو يحاكي في هذا الديوان المشاعر والأحاسيس التي تحطمت بفعل فراق الأوطان والأهل والأصدقاء، ولقد إعتمدتُ على المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة .

Research summary

This study seeks to show parallelism, and identify its most important types, taking from Diwan (Who knows the rose? as a model) considering parallelism as an artistic phenomenon that the poet resorts to in order to form the rhythmic structure with his artistic creations, and to enrich the musical tone that affects the emotions of the recipients, especially as it is simulated in This collection of feelings and feelings that were shattered by the separation of homelands, family and friends, and I relied on the descriptive analytical approach in this study

المقدمة:

يعدُّ التوازي ظاهرة من الظواهر الادبية التي تعمل على إثراء النص الادبي لما له من دور بارز في تحقيق انسجام النص وتوازنه فنياً ،ويتناول هذا البحث التوازي وأنواعه ،وقد ظهرت لنا أهميته من خلال ديوان (من يعرف الوردة؟) لسعدي يوسف ،واستطعنا ان نقدم في هذا البحث صورة متميزة للتوازي المتحقق في الديوان ؛ لان التوازي له قيمة جمالية لا غنى عنها في تحقيق الشعرية.

اما خطة البحث فكانت كالآتي: تمهيد تحدثت فيه عن معنى التوازي ،ونبذه مختصرة عن حياة الشاعر ، ثم تطرقت الى انواع التوازي المتحققة في الديوان وهي: التوازي الصوتي ،والتوازي التركيبي، والتوازي الدلالي ،ثم الخاتمة ،والعرض التالي يفصل شيئاً مما جاء في هذه الخطة.

التمهيد :

التعريف بالشاعر سعدي يوسف

شاعر عراقي "ولد عام 1934 في قرية حمدان قضاء ابي الخصيب في البصرة "[1] ،ويعد من جيل ما بعد الرواد في العراق ،تخرج من دار المعلمين ببغداد عام 1954م ،وكان عمله في الصحافة الوطنية العراقية ،حيث أشرف على القسم الثقافي في صحيفة (طريق الشعب)الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي ،وبعدها تنقل في عدة بلدان ،وقد توفي الشاعر سنة (2021)[2].

لقد بدأت مسيرة الشاعر الشعرية عام 1952م عندما نشر قصيدة القرصان ، لكنه لم يشتهر إلا في مرحلة الستينات عندما هاجر الى الجزائر ،وهناك تشكلت غالبية نصوص مجموعته وعندما رجع الى بلاده اوائل السبعينات أصدر ديوانه(الأخضر بن يوسف ومشاغله) ،وبعدها أصدر مجموعته (الليالي كلها) ، وفي أوآخر السبعينات هاجر الى بيروت ،وعمل مع أعلام الثورة الفلسطينية ،وأخذ يتنقل ما بين اليمن الجنوبي وباريس [3] وكانت علاقته ماتزال عميقة مع الحزب الشيوعي لعدة سنوات[4]،فكان لإنتمائه السياسي الأثر العميق على نتاجه الشعري فقد نتلمس ذلك من خلال قصائده الشعرية "فقد كتب وهو في طريقه الى صوفيا قصيدته(أربع اغنيات إلى صوفيا) صوّر فيها لهفته إلى رؤية بلد اشتراكي ،وتحدث فيها عما يعانيه الشعب العراقي "[5]،ولقد تميزت قصائد سعدي يوسف بالنبرة الخافتة ،وخلوها من النبرة الخطابية ،فكانت تمثل روح العاطفة المحلية التي أججت عنفوانها قصائد السياب"[6]وهكذا كان الشاعر من الشعراء المجيدين الذين كان لهم دور كبير في نهضة الشعر الحديث.

معنى التوازي *

تؤدي ظاهرة التوازي دوراً بارزاً في القصيدة العربية لما يقوم عليه من عناصر اساسية كالتقطيع الصوتي وتوزيع الالفاظ في الجمل وتوظيف المعنى عن طريق التضاد والتقابل بين الألفاظ المفردة والجمل المركبة [7]. ولقد اهتم

الشعراء بهذه الظاهرة لما فيها من الوسائل التحليلية من الناحية اللغوية والصوتية والجمالية ،ومن قدرتها على تأدية المعنى بصورة إيحائية ،إضافة لما للتوازي من دور في تحريك الموسيقى الداخلية ،وكان التوازي موجود في البلاغة العربية القديمة ،وكان مفهوم التوازي في الكتابات النقدية والبلاغية القديمة يدور حول مفهوم السجع قال النويري(ت733هـ): والسجع أربعة انواع وهي: الترصيع ، والمتوازي، والمطرف والمتوازن[1] فما يهمنا في هذا المقام هو المتوازي :الذي هو أن يراعي في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الاخير منهما [2] ويبدو ان المتوازي يؤدي في النثر الوظيفة نفسها التي تؤديها القافية في الشعر نظراً لامتلاكها الوظيفة الجمالية نفسهايختلف عن مفهومه الجديد فكان يسمى قديماً بالتقسيم كما عرفه ابن رشيق القيرواني "هو استقصاء الشاعر جميع ما ابتدأ به "[8] ،ويضرب ابن رشيق القيرواني لذلك مثل من قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) :(وهل لك يابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت ،او لبست فأبليت ،أو تصدقت فأمضيت)[9] .

ويعد التوازي عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات ،وهو يشمل العناصر الصوتية والدلالية ويفترض عادة أنَّ الطرفين متعادلان في الأهمية [10] ولقد ظهر مصطلح التوازي أثر الحركات الأدبية الحديثة في العصور المتأخرة فتطور الأدب أدى إلى توسع في المفاهيم ،والتوازي عند المحدثين أعم من التوازن الذي هو "تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج ،أو شطري البيت الواحد من حيث الايقاع والوزن، أما التوازي فهو أن يستمر هذا التوازن في النص كله كالذي نجده في القصيدة الشعرية ،حيث يتكرر ايقاع كل شطر منهما في كل بيت منهما ويستمر حتى نهايتها "[11]

وللتوازي الدور الأساس في البناء الموسيقي والايقاعي للنص كما يقول محمد مفتاح: "هو سمة شعرية قلما يخلو منها شعر ،فهو ظاهرة موسيقية ومعنوية في آن واحد لان الذي يدرس التوازي يكشف دور البعد الصوتي والايقاعي في إنجاز البعد الدلالي "[12]،وبعد ذلك يمكننا القول إنّ التوازي بمفهومه الحديث يحقق الشاعرية الصادرة عن تأثير الايقاع الصوتي على حاسة السمع ،وذلك باستخدام تقنيات صوتية منبعها فن البديع[13]،وهذا الشي حدا ببعض الدارسين اعتبار الشعر "هندسة حروف وأصوات نعمر بها في نفوس الآخرين عالماً يشبه عالمنا الداخلي والشعراء مهندسون لكل منهم طريقته في بناء الحروف وتعميرها"[14]

وعلى أثر هذا يمكن جعل الكلمات متوازية يشد بعضها إزر بعض من أجل التأثير في نفوس المتلقين ، وبعد قراءة ديوان (من يعرف الوردة) لسعدي يوسف وجدنا التوازي متحقق بأشكال مختلفة منها :

أولاً/ التوازي الصوتي

وإنَّ التوازي الصوتي و البنى الصوتية والوسائل العروضية تخلق ظرفاً مناسباً للإحساس بالموازاة الشعرية[15]، يتم عن طريق توزيع الألفاظ في الجملة أو العبارة توزيعاً قائماً على الايقاع المنسجم للفظ ،وسواء في الجملة المتصلة ببعضها أو المترتبة على بعضها عن طريق التضاد والتشابه في المعنى أو الصياغة النحوية [16] ، إنّ التوازي الصوتي عند جاكوبسن يتمثل في التكرار، والقافية ،والترصيع ،والسجع ،والتطريز ،وعدد المقاطع أو التفاعيل ،والنبر والتنغيم [17]، ويعد الايقاع الداخلي لكل نص شعري هو الكاشف عن مختلف السمات اللغوية لأنه صادر عن تجربة شعرية ،ومن أنواع الاشكال الموسيقية الداخلية التي ترصد هي تكرار الأصوات ،وتكرار الكلمات اسماء وأفعال وما تجاوزته من ايقاع موسيقي يعبر عن تجربة الشاعر ومختلف احاسيسه.

ويبدو مما تقدم إنّ المقصود بالتوازي الصوتي الإنسجام الصوتي الذي يتولد عن طريق تردد عناصر الطرفين المتعادلين بصورة كلية أو جزئية فتكون العناصر متوازنة في ايقاعها ومتوالية في نسقها الترتيبي ومتماثلة في بنيتها الشكلية ،ومن أمثال ذلك في ديوان من يعرف الوردة قصيدة للشاعر سعدي يوسف بعنوان التنفيذ يقول:

عمود المشنقة

كان مما قدّروا أعلى

وحبلُ المشنقة

كان مما حسبوا أغلى

ومعنى المشنقة

كان مما فكروا اجلى

على كوفية الطفل الفلسطيني

احداق الذين استمتعوا

بالدم الشاهد

احداق الذين استمعوا

لأنين العشب إذ يدخل ما بين حذاء الطفل والارض ...[18]

فالشاعر قد وزع عناصر النص توزيعاً هندسياً ،متكافئاً يتجاوز المستوى البنيوي إلى مستوى الايقاع الذي يجعلنا أمام وحدات صوتية في تتابعها لنظام تتوازن فيه العناصر توازياً منسجماً في مخارج حروفها وفي بنيتها الصوتية ،والملاحظ على النص إنّ الشاعر قد عمد فيه إلى التكرار في الفعل الماضي(كان) ولفظة المشنقة مما يجعل للنص دلالات ترتبط به ، وبالقارى له، فالدلالة المرتبطة بالنص هي الاشياء الجانبية بينما الدلالة المرتبطة بالقارى هي تقوية العواطف كالحنين الى الأوطان والشعور بالغربة ،وهي معاني الغاية منها إثارة إنتباه القارى.

ونلاحظ في القصيدة نفسها توازي من نوع مختلف هو توازي النص المتخفي في البياض بالنص المرقش في المكتوب ، وهناك الكثير من هذا النوع من التوازي في هذه المجموعة الشعرية ، فما هو السبب وراء هذا النوع من التوازي الوارد في الديوان ؟ هل هناك غاية وراء ذلك؟ فالجواب ربما يكون إنّ الشاعر أراد أن يستحدث كل شيء في قصائده كي يجذب المتلقي ، أو ربما يكون السبب هو إنّ الشاعر لا يستطيع البوح بكل ما يشعر به فلذلك جعل البياض هو المتحكم بمشاعره المخبوءة إذ يقول في نفس القصيدة:

واحداق الذين ارتقبوا

قبلة بين مدارين :

البساتين وعود المشنقة

.....

.....

.....

فالشاعر وازى بين نصيين أحدهما مكتوب مرئي ، والآخر متخفي وراء البياض ،والغرض من ذلك قصد متخفي في نفس الشاعر لا يستطيع البوح به ،وكأنه يحاول أن يصارع الواقع المرير الذي يمر به الشعب الفلسطيني في هذا النص المغيب ،وبذلك يصبح النصان متوازيين متساويين بتجاورهما ، وكلُّ نص هو مبعث للتأمل ، وباعثٌ للأدراك .

ويقول الشاعر في قصيدة اخرى بعنوان الجواهري:

حين رأى الجواهريُّ ،الجنَّ بين الصخر_

تقفزُ،

أو تندسُّ تحتَ الرمل

أقامَ من ضفدعهِ المبتلِّ والمختل

دارتَه المُثلى ،

وبيتَ العقل .

.....

.....

.....

لكنما أبو فراتٍ حينَ أكملَ القصيدة

واستلَّ من سيجارةٍ مدعوكةٍ ،

أخرَ ما يؤرّثُ السيجارة الجديدة

أغمض عينيه على كأسٍ من البيرةِ

في مقهى

يبعدُ آلافاً من الأميالِ

عن ضفدعهِ

والدارةِ المثلى

وبيتِ العقل.[19]

الملاحظ على النص وجود توازي بين نصين الأول المكتوب المرقش ، والثاني البياض المنقط ، وصورة النص الثاني تعطي جواباً متوازياً لصورة النص الأول ، او تعطي معنى متوازياً خلف المعنى الأول ، وهذا ما يشكل انجذاباً ،وحركة ذهنية فيما يشير النص برمته من واقع جمالي في النفوس بفعل صورتيه الذهنية والمرئية .

كما نلاحظ في النص نوع من الحس الدرامي المُبين وهو يتحدث عن الجواهري ،وخبرته في الشعر ،وكيف استطاع الجواهري بشعره أن يوقظ كلُّ من حوله من خلال قصائده المتميزة.

وذكرنا سابقاً إنّ التكرار هو شكل من الأشكال الموسيقية للإيقاع الداخلي ،ومثل ذلك تكرار الضمير(نحن)في قصيدة له :

حين تمتدّ كفِّي

لا تصافح إلا أصابعها .

حين تمتدّ كفُّكَ

كيف تصافحُ إلا أصابعها؟

نحن من انبتتنا البراءة

نحن من انبتنا البراءة

نحن من لا نريد البراءة ماضية

لا نريد البراءة لاحقة ،

نحن ابناء ذك المسيل المحاصر ما بين بحرين

ابناء من يحفرون الجدار الى الفجر ،

والفجر يصحون عند الجدار.[20]

تكرر الضمير(نحن)في النص ،وأهم ما يميزه الحضور الذهني الواقعي وروح المعني يضل ملازم للضمائر في كل حالاتها فهو ضمير متكلم خاص بالعاقل، والدلالة الصوتية المنبثقة من هذا النص تتمثل بقوة الصوت في تكرار هذا الضمير(نحن)فهو يبدأ بصوت قوي ثابت الأثر في أذن القارى.

ثانيا/ التوازي التركيبي

هو توازي يتجلى في تقطيع العناصر التركيبية في بيت شعري أو أكثر تقطيعاً متساوياً، بحيث تتفق تلك العناصر جميعها اتفاقاً تاماً في بنيتها التركيبية وفي الوظائف النحوية والصرفية التي تؤديها[21] ، كما عبر عنه صلاح فضل بانه "هو شكل من اشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول، والنغمة ، والتكوين النحوي "[22] فنجد من تلك الوظائف الصرفية عدة متوازيات منها :

1/ الاستفهام

يعد هذا النوع من الاساليب الانشائية التي استعان بها الشاعر سعدي يوسف في ديوانه(من يعرف الوردة؟) لما للاستفهام من دور جاد في التعبير عمّا في نفسه، والاستفهام المستخدم هنا هو استفهام مجازي خرج لأغراض مجازية متعددة لا استفهام حقيقي ،لان ليس من شأن الشاعر طلب الفهم عن شيءٍ يجهله، وهذا هو الاستفهام الحقيقي ،اما الاستفهام المجازي عكس ذلك يستعمله الشاعر كي يجسد معاناته وتجاربه الشعورية من خلال تساؤلاته ،وهذا ما وجدناه في الديوان ،فالاستفهام وسيلة من وسائل اتساع المعنى وإثرائه ،وتنويع الافكار والصور ، والمواقف ،فجاء الاستفهام وهو حامل معاني ودلالات أغنت النصوص الشعرية بالحوار والصور ، وما جال في فكر الشاعر من معاني أراد ايصالها أو البوح بها بإسلوب تقريري حواري استفهامي ،ولهذا وجدنا شاعرنا قد ركز في مجموعته الشعرية على الاستفهام إذ اسماها (من يعرف الوردة؟) .

نوع الاستفهام الوارد في الديوان هو استفهام تقريري :"المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقب الاداة واقع او طلب إقرار المخاطب به من كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أي يطلب منه أن يكون مقراً به "[23]

ومن الدلالات او الاغراض التي خرج لها الاستفهام هي :

أ/ الاستفهام الخارج الى التحسر والتوجع .

لقد استخدم الشاعر دلالة التحسر والتوجع على الاوضاع التي وصلت إليها بعض الدول المحتلة ،وكذلك تحسره على الظروف المحيطة به وهو في غربته ،فمن خلال تساؤلاته عنها بيَّن حجم الأسى ومرارة اللوعة ،ومن ذلك تحسره على المدينة المحتلة (صيدا)قائلاً:

في انباء العدو الريفيِّ

وفي صيدا المحترقة

تأتي

فبأيّ النبتِ تجيء؟

وبأيّ بذورٍ نملأ صينيتنا؟

وبأيّ نذورٍ نأتي؟

ايَّ جرارٍ نحضرُ؟

ايَّ جرارٍ نكسر؟

ايَّ أمانٍ نتمنى ؟

ولمن نستأني؟

وبمن نتغنى ؟

وبأي بلاد...[24]

فهنا بدأت تساؤلات الشاعر حول المدينة (صيدا) المحترقة بشرار الاعداء المحتلين فبدأ الشاعر تساؤله حول هذه المدينة بمشاعر الحزن والأسى عليها نتيجة انتشار الظلم والدمار فيها ، ونتلمس في القصيدة لمحة من التشاؤم والسوداوية عليها.

كما لديه قصيدة بعنوان (هلاليون) حافلة بالتساؤل بدلالة التحسر إذ يقول :

للبلاد البعيدةْ

نحن نمضي ...واين البلادْ؟

للسماوات نمضي

واين السماء ؟

حينما نستريحْ

يأكل العشب اقدامنا ،

ثم نأوي الى بعضنا

مغمدين الصريحْ

في قصائد مهزوزةٍ

وانتظار جوادٍ جريحْ[25]

استفهام الشاعر في هذا النص بدلالة التحسر على الاوطان ،فالشاعر في غربته يبحث عن وطن شبيه بوطنه ،وأكثر الشاعر من علامة السكون في آخر كل كلمة من القصيدة ، وهذا أن دلَّ على شيء فهو يدلُّ على التوقف في كل الاشياء التي كان يحلم الحصول عليها في البلدان الأخرى، كما أنه دليل على مدى الضعف الذي وصل اليه باعتبار السكون هو اضعف الحركات.

ب/ الاستفهام بدلالة التعجب

خرج الاستفهام الى معنى مجازي هو التعجب في هذه المجموعة الشعرية (من يعرف الوردة؟) ،ولقد أكثر الشاعر من استخدام اسم الاستفهام (كيف)لإضفاء معنى التعجب على النص ،لإنّ التعجب كما هو دارج يستهدف الشي الشاذ أو غير المعتاد أو غير السائغ لدرجة توهم بأن سببه غير مألوف فما من سبب يدعو إليه وكأن سببه مجهول[26].

ومثل ذلك قصيدة بعنوان (سر النافذة) يقول:

يطلّ من نافذة الشقّةِ

من نافذتي طفلٌ...

تُرى... من جاء بالطفل هنا ؟

كيف اهتدى في الليل والريحِ؟

إلى بيتي ؟

ومن ادخله الغرفة؟

ومن اوقفه في هذه الخطةِ،

هذه الوقفة اللعنة

عند النافذة؟

اريدُ ان ابعده شيئاً

وأن انظر نحو الجبلِ المثقلِ بالثلج

ما اعتدتُ...

ولكني لا أجرؤُ

فلا تستسلم الآن الى دفء فراشي

أدفن الرأسَ ببطانيتي ...

ولينظر الطفلُ من الشباكِ

وليفعل كما شاء[27]

فكأن الشاعر قد تعجب من مجيء الطفل البريء الى مكان لم يعتد الوصول اليه وهو مكان الحروب والمعارك فلا يكون للطفلِ فيها لا ناقة ولا جمل ، لأنه عنوان للطفولة والعفوية .

كما انه استفهم متعجباً من حال الاطفال في منطقة (حاج عمران) وهي منطقة تقع شمال كردستان العراق احتلتها القوات الايرانية مؤخراً[28] **فتعرض الاطفال اثر ذلك الهجوم المتوحش إلى الآلام ، والأحزان ، والتغرب .**

فتعجب الشاعر من نوم الطفل بعد إخراجه من بيته الذي كان يعيش متنعماً فيه ،فأصبح متغرباً بين الجبال والأودية في الليالي الحالكة إذ يقول الشاعر:

كيف ينام الطفل ؟

(حشّيتُهُ ليفٌ ، ووسادته نجمة)

كيف ينام الطفل

وفي الفجر المتسلل بين النخلِ

رأى جملاً يذبَحُ...

كيف ينام الطفل؟[29]

كما لدى الشاعر قصيدة بعنوان (وطن) نجدها حافلة بالاستفهام التعجبي مما مرَّ به العراق من المصائب ، والويلات قائلاً:

أيكون اقصى الارض لي سكناً

والمخبرُ البدويُّ يتبعني؟

أنَّى اتجهت رأيتُ قامته

مغروزةً في صورة الوطنِ

زمنُ هو الشرطيُّ في يدهِ

ارض العراق شبيهة الزمنِ.[30]

فطرح الشاعر على نفسه تساؤل وهو هل يجد وطناً يأويه، ويكون اماناً فيه مثل وطنه؟ ،فأراد الشاعر البوح عمّا يختلج في نفسه ،فجاء هذا البوح على شكل تساؤل حمل معنى الحيرة والتعجب ،فجسد في هذا النص ما يعانيه من الم وغربة ،فجاء الجواب بأن ارض العراق تشبه الزمن الذي يكون بين يدي الشرطي المتحكم به.

ج/ الاستفهام بدلالة الاستبعاد.

الاستبعاد هو عدُّ الشيء بعيداً حساً أو معنى ، وقد يكون منكراً مكروهاً غير منتظر أصلاً ، وعلى هذا قد يخرج الاستفهام للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه[31]

ومثل ذلك نجده في قصيدة قائلاً:

بين بيت يُسوّرني وسماءٍ طليقة

كيف اختارُ بيتي ؟

بين صمتي واغنيتي

كيف اختار همسي؟

بين احداقها والثياب –

كيف ادخلُ؟

.....

.....

.....

تمتمةُ من شميم الصنوبر

همهمة من غصون الصنوبر

غمغمةُ في الظلام ...[32]

فالاستفهام خرج لدلالة الاستبعاد في هذا النص، وكأن الشاعر يستبعد أن يكون فيه بيت في الغربة ، واستبعد أن يكون له الاختيار في ذلك ، وقد استخدم اسم الاستفهام (كيف) للاستفهام التصوري الذي يكون الجواب عنه بتعيين أمر ما من أمرين ، ثم تداخل مع نص الشاعر نص آخر في البياض المنقوط ، وكأن هناك تساؤلات عدة لم يستطع الشاعر البوح بها لذلك خبئها في البياض المنقوط ثم جاءت النهاية بالتمتمة ، والهمهمة ، والغمغمة ؛ لان هذه الكلمات تعبر مدى استبعاد الشاعر لأشياء لا يستطيع البوح بها بسبب غمه وهمه اللذين أتعبا الشاعر في غربته .

2– توازي الأفعال المضارعة*

من المعروف أنّ الأفعال المضارعة تدل على الاستمرارية والحركة ،وهذا ما وجدناه متكرر بكثرة في ديوان الشاعر ومن الامثلة عليها قوله :

هكذا نجتمع الآن على مائدة الثورة

نأتي بالبطاقات التي كنا سرقناها من القتلى

ومن تبغ الصحابيين،

من احجار سور القدس

كي نسهر في بيروت

او نسكر في نزلٍ على الشاطى

هكذا نجتمع الآن على مائدة الثورة

جئنا نحمل التقرير ....،والبيعة،والصفقة ،

جئنا كالدمى في غفلةٍ ،مدفوعة الأجر–

وجئنا كالدمى:[33]

هذه القصيدة جاءت بعنوان (مقدمة)حشد فيها الشاعر الأفعال المضارعة ،لقد اكثر الشاعر في هذه القصيدة من التكرار في الأفعال (جئنا ،ونجتمع)حوالي 5 مرات (فجئنا)مسند إلى ضمير المتكلم ،و(نجتمع)إلى ضمير الغائب نحن وهذه الأفعال دلت على الحدث المتجدد في الحال أي الفعل المضارع الذي لا يمتد إيحاؤه ،ولا يستغرق زمنه البعد الثلاثي من الوقت فالشاعر استعمل هذين الفعلين للدلالة على الثورة الفلسطينية وهو يريد أن يسخر من الجانب الآخر الذي يقف ضد هذه الثورة ،وضد نجاحها فنجده عندما يتحدث عن ذكرى هذه الثورة ،يقول إنّ هناك ضدية بين الموقفين بجانب الثورة ، الموقف الظاهري المتمثل بالواقفين مع الثورة والموقف الخفي لهم ،فهم يهتمون لمصالحهم الشخصية وأتخذوا من هذه الذكرى(ذكرى الثورة الفلسطينية) ذريعة من أجل مآربهم إذ يقول في نهاية القصيدة :

لا نقل: "جئنا الى الثورة ..."،

لا نجتمع اليوم على رأس الحسين !

فهنا يشبه اجتماع الطغاة على الدم الفلسطيني كاجتماع الكافرين على دم الحسين(عليه السلام)،وكذلك نجده في موضع آخر يستخدم الفعل المضارع بقوله :

أمضي الى حجرٍ بسور القدس

أبرأ خالقي حجراً

وأسجد...

افتدي بالخالق والمخلوق...قوت دمي

وأهبط في قرار الاضطراب ومنزل الفوضى واعلن:

أنني المبدأ وإني من هنا ابدأ...[34]

فقد استخدم الشاعر خاصية التكرار في المفردات(حجر، حجراً)(المبدأ، ابدأ) والتضاد في (خالق ، مخلوق)أما الافعال المضارعة المستخدمة هي (امضي، ابرأ، أسجد، افتدي، اهبط، اعلن).

وهناك قصيدة بعنوان(ايها الاخوة) يكثر فيها من التكرار للأفعال المضارعة قائلاً:

قبل ان نحتفي بانكسار الصنوبر

قبل ان نشتري للإله الأبر

قبل ان نلقي الاسلحة

قبل ان نشتم الاصدقاء

قبل ان ننتقي خشب الشقق المقبلة [35]

هذا نص ممتلى بالأفعال المضارعة التي أستندت على ضمير الغائب (نحن) وتم استعمال سبعة عشر فعل مضارع في هذه القصيدة للدلالة على التأني في كل الامور ،وعدم التسرع كما وضح ذلك في نهاية القصيدة.

3- توازي الأفعال الماضية *

يبنى هذا التوازي على توالي الأفعال الماضية التي تدل على فعل مضى وأبتعد ولكن حضورها جاء أقل من حضور الأفعال المضارعة في الديوان ومثل ذلك قوله:

كانوا أربعةً في ((حيّ السلّم))

قناص دبابات

ورواة قصائد

كانوا عشاقاً لفلسطين

ورفاقاً في بغداد

وامسوا اشجاراً في ((حيّ السلّم))[36]

فهي قصيدة تتحدث عن الشهداء الذين ضحوا من أجل فلسطين ،وكانوا من جميع البلدان العربية وخاصة من العراق ،فاستعمال الفعل الماضي كانوا له دلالة على وفاء الذين ضحوا من أجل الأوطان ،فكانوا ،وما زالوا مضحين عن تلك الارض المقدسة.

له قصيدة بعنوان اكتفاء قائلاً:

شيرزتُ . اتهمتُ . أنجدتُ

أعرفتُ . أصحرتُ. أبحرتُ

صرّفتُ فعلين . لي الحبَّ والحرب

هذه البيوت التي ترفع الشمس لافتةً للسويديةِ

احتجبت خلف اشجارها ، وارتضت بالشواء !

النص زاخر بالأفعال الماضية التي عكست ما مرَّ به الشاعر في غربته وهي(شيرزت، اتهمت، انجدت، اعرفت،اصحرت...الخ)وهي افعال مسندة الى ضمير المتكلم ،أورد من خلالها سعدي يوسف أحداث وقعت في زمن مضى ،وانقطع ،فهذا النص جسد لنا شعور المغترب الحقيقي ،وما يحس به ويشعر وهو بعيد عن وطنه، وهذه الافعال متماثلة صرفياً على وزن(فَعَلتُ) فهو مشهد سردي واضح المعالم .

ثالثا/ التوازي الدلالي

يتمثل هذا التوازي بتكرار بعض المفردات اللغوية وتوزيعها في النص توزيعاً متساوياً، ويكشف عن وظيفتها الشعرية من خلال علاقات الحضور والغياب ،فالتوازي كما يقول النقاد المحدثون :"كلما كان عميقاً متصلاً

بالبنية الدلالية كان احفل بالشعرية "[37]، ومن أقسام التوازي الدلالي التي لمحناها في الديوان تتمثل بثلاث محاور هي : التناسب، والترادف ، والتضاد.

1-التناسب*

هم الاشتراك في مجموعة من الالفاظ و"الاتيان بالأشياء المتناسبة "[38] ويتحقق التناسب في الشعر من خلال تكرار المفردات المتناسبة مع بعضها البعض، ونجد ذلك في بعض قصائد الديوان قصيدة بعنوان(خذ وردة الثلج خذ القيروانية) قائلاً:

ناعساً في قطار العرائس، اخترقُ الغابة الذهبية

كان المطر

ناعساً

نائماً في بيوت الضواحي

ونافذتي

والسجائر ،

والغابة الذهبية تمتد حتى تلامس هذا القميص الخفيف.

الخريف؟

السجائر عادت رماداً،

وفي الشاي تنطفى الجمرات الاخيرةُ...

لا بأس .أهو الخريف؟

على الطاولةْ

ورقٌ للبياضِ ، ورمانةُ من سمرقند

خبزُ[39]

يتبين من خلال هذه المقطوعة الشعرية إنّ الشاعر ذكر سلسلة من العناصر التي تنتمي إلى جنس واحد وهو(الطبيعة) وهذه الالفاظ متمثلة ب(الغابة، المطر، الخريف، رمانةُ...الخ) ،وكذلك نلمح مثل هذا التناسب في مقطوعة أخرى يقول فيها :

لمساجدكِ المستكنّةِ كالأضرحةْ

لجنودكِ في المذبحةْ

للمليشيا

للنساء يكفّنّ بالصمت ابناءهنّ

للوجوه التي نحت الحقدُ فيها

للبلاد مبرّأةً من بنيها

لمياه القمر

للسلاح الذي حار حتى انتحر

لأغاني البعاد

لجبال الحداد

ولأسمكِ ذاك الجميل

لذكراه

للذاكرة

أمنح الدمعة العاثرة

كم حصارٍ سنشهد...

كم عدنٍ سوف ننسى

وكم مارجٍ سوف يخضدُ قاماتنا النافرة ...[40]

فالشاعر ناسب بين الفاظ النص ، من خلال ما تعرضت له المدن العربية من إحتلال ، واضطهاد من إثر الحروب التي مرت عليها ،وخاصة مدينة عدن ،و وهذ التناسب في الالفاظ التي ترجع جميعها إلى مدينة عدن لا تحقق التوازي الدلالي فقط بل تؤسس لتوازي صوتي ايقاعي ،وهذا يتجلى في نهاية كل فقرة من النص (لمياه القمر، للسلاح الذي حار حتى انتحر، لأغاني البعاد، لجبال الحداد) فكل فقرتين تنتهي بنفس القافية الشعرية ،وبنفس حرف الروي(الراء ،الدال).

ويقول في موضع آخر:

في مياه جنوبيةٍ يهطلُ التوتُ،ابيضَ،احمرَ،اسودَ...خضراء خضراء...إني اريدكِ خضراء (يدخل لوركا!)وخضراء كانت اصابعنا ،الريحُ خضراء، والغصنُ اخضرُ...افواهنا في الظهيرةِ حُمرٌ، هو التوتُ يهطلُ، والظلُ يهطل ،اغصانُ رمانةٍ مثقلاتٍ بزورقنا.سمكٌ دائخُ في الفرار القريبِ.[41]

فنلاحظ تناسب في الاطراف من جنس واحد هي ألوان ، فذكر الشاعر ألوان التوت هي (ابيض، احمر، اسود، اخضر)وهذا التدرج في الألوان هو معنى شكلي على مستوى الصورة الخارجية ، أما على المستوى الداخلي فهي تحمل دلالات عميقة المعنى ،وفي النص تركيز على اللون الاخضر وتكراره بكثرة ،لإنه لون يدل على التجدد ،والحركة ،وباعث للأمل والتفاؤل.

2- التضاد*

هو الإتيان بالأضداد مثل (الأسود ،الابيض)،و(الليل ،والنهار) ترد الالفاظ في شكل ثنائيات متضادة منها قوله تعالى: "وانّهُ اضحك وابكى وانّهُ هو امات واحيا"[42]نجد إن اعتماد الشاعر على التضاد في شعره يدلُّ على الحالة النفسية المتوترة ،والمواقف المتناقضة التي يعيشها الشاعر ،ومثل ذلك توفر في الديوان قصيدة بعنوان (تداخل):

بين عروق المرجان

تتقافز اسماك النور

لا تقلق يا ولدي

لا تفرحك الاحزان

ولا يحزنك الديجور

كتلة مرجان في الشرفة

واصابع عاقول في القمصان[43]

فقد جمع الشاعر في هذا النص بين متضادين هما(الفرح، والحزن) جاعلاً منهما أساساً في الحياة ، قد وصل الشاعر في قصيدته هذه حد التشاؤم وهو يخاطب ولده ،وكأن هذا الولد لا يستطيع أن يحزن ، ولا أن يفرح ،كذلك التضاد بين (المرجان، والعاقول) فالمرجان يدل على الجمال والرقة ،أما العاقول فدلالته على القبح والتشاؤم .

وهناك قصيدة بعنوان(شكراً لأمرى القيس)حافلة بالتضاد:

كل ما حولي سواحل

هل دخلنا مرةً؟

مدن يقال هناك...بلداتٌ، قرى،عواصم

اختلفت بنا الطرقات واشتبكت

اندخل في الخروج هنا؟

انخرج في الدخول هناك؟

نائية مدينتنا.[44]

اعتمد الشاعر على التضاد بين(الدخول ،الخروج) والتضاد في اسماء الأشارة(هنا، هناك)من خلال وصفه للتنقل بين المدن والعواصم للإشارة الى عمق الغربة ،والشعور بها .

3- الترادف*

هو "الإتيان بالشيء وشبيهه"[45] ويكون هذا النوع عندما يراكم الشاعر مجموعة من الالفاظ المترادفة التي تشكل مع بعضها دوالاً مختلف تحمل مدلول واحد.

مثل ذلك قصيدة بعنوان(اكتناز)يقول:

اخفيك، بعيداً في الصمت

اخبّئُ ما يتنبه مني

واقول : الليلةَ ارحلُ عن تركيب الصورةِ

والبيتِ

واسالَ عن غيرك...

اشجار من اسلاكٍ في واجهة المخزنِ

والشارعُ يقفزُ.

تمرقُ سيارات الأجرة فارغةً ...

والاعياء يغيم بعينّي ،

وئيداً[46]

فالمترادفات المتحققة في النص هي (اخفيك– أخبئ) تدل على الخوف من المجهول.

و(اقول ،اسأل) تدل على السؤال ،و(الصورة ،البيت، أشجار، الشارع) تدل على المكان ،فالشاعر لا يستطيع البوح بكل مشاعره ،ولذلك عبر عن كل شيء بالإخفاء ومرادفاته ، وبتعبيره عن الوطن اتخذَّ من المكان ومرادفاته دليل على ذلك، وبهذا يشكل الترادف في اظهار ما لا يستطيع الشاعر اظهاره إلا في الشعر .

الخاتمة*

- يعد الشاعر سعدي يوسف من الشعراء المحدثين الذي كان له دور كبير في إبداع النصوص الشعرية ، وإظهار التقنيات الفنية الحديثة للنص الشعري.
- ينقسم التوازي في ديوان من يعرف الوردة إلى ثلاث انواع هي (التوازي الصوتي، والتوازي التركيبي، والتوازي الدلالي).
- يحتل التوازي الصوتي المرتبة الاولى من حيث تواجده في الديوان .

- **لقد احتل الاستفهام المرتبة الاولى من بين انواع التوازي التركيبي ، لما لهذا النوع من الاهمية القصوى في إغناء النص الشعري ،وجعل المتلقي متشوقاً لسماع كل الجمل الاستفهامية التي تدار داخل النص ، وكان سبب التشوق هو خروج الاستفهام المتحقق في النصوص الشعرية هذه الى اغراض مجازية متعددة .**
- **يشتمل التوازي الدلالي على التناسب، والتضاد، والترادف.**
- **تميز ديوان من يعرف الوردة بكثرة ورود الافعال المضارعة التي تدل على الحركية ، والاستمرارية .**

المصادر والمراجع*

القران الكريم

1- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تح: محي الدين عبد الحميد / دار الجيل ،بيروت ط5/ 1981.

2- رومان جاكوبسن، افكار وآراء حول اللسانيات والادب ، تح: فالح صدام الامارة ، د. عبد الجبار محمد علي ،مراجعة د. مرتضى باقر ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط1/ 199..

3- سعدي يوسف النبرة الخافة في الشعر العربي ،فاطمة المحسن /دار المدى للثقافة والنشر – دمشق ط2/1....

4- سعدي يوسف، الأعمال الشعرية (من يعرف الوردة؟)،ج2/منشورات الجمل ،بيروت–بغداد2.14.

5- السلجماسي، المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع، تح: علال الغازي ،ط1، مكتبة المعارف المغرب 198..

6- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ،عالم المعرفة المحلي الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت 1992.

7- محمد مفتاح ، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب ط1/1996.

8- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين بيروت– لبنان ط5/دت.

9- والي دادة عبد الحكيم ، مباحث ايقاعية في اللغة العربية ،دار هومة الجزائر، ط1 / 2.14.

10–يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى 1958، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد 1978.

الرسائل والاطاريح الجامعية *

1. **احمد عيساوي ، جماليات التوازي في ديوان "كزهر اللوز أو ابعد " لمحمود درويش ،رسالة ماجستير ، 2.18.**
2. **12_ عبد الله الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب بغداد 2..4.**
3. **المجلات*1_ محمد كنوني ، التوازي ولغة الشعر ، مجلة فكر ونقد ، السنة الثانية 199.، العدد 18.**
4. **2_ مجلة افكار ، العدد 12، الاردن.**

[1] - سعدي يوسف النبرة الخافة في الشعر العربي الحديث: 41

[2] - الاعمال الشعرية ج4/1

[3]- مجلة افكار العدد12/الاردن / ص 86

[44]- ينظر :م ن

[5]- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958م/91

[6]- سعدي يوسف النبرة الخافة في الشعر العربي الحديث/5.

[7] -ينظر: قضايا الشعر المعاصر:263-291

8- ينظر:نهاية الأرب في فنون الادب ج7/104-105

9- ينظر: المصدر نفسه :ص 104-105

10- ينظر : التوازي ولغة الشعرص80-81
11- كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ج310/2
12- م0ن /ص 311
13- ينظر: التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية /97
14- التوازي التركيبي في القرآن :ص15
15- التوازي في قصيدة محمود درويش : 362
16- ينظر جماليات التوازي في ديوان(كزهر اللوز او ابعد) لمحمود درويش0
[14] - مباحث ايقاعية في اللغة العربية : ص5
[15] - افكار وآراء حول اللسانيات والادب :109
[16] - ينظر: جماليات التوازي في ديوان(كزهر اللوز او ابعد) /ص15
[17] - ينظر: العمدة لابن رشيق القيرواني /ص311
[18] - الاعمال الشعرية ، من يعرف الوردة ؟/ص13
[19] - الأعمال الشعرية ج2/ من يعرف الوردة/ص 21.
[20] - المصدر السابق/ 53م
[21] - ينظر: التوازي ولغة الشعر / مجلة فكر ونقد/ص80
[22] -بلاغة الخطاب وعلم النص :ص198
[23] - الاتقان في علوم القران / ص640
[24] - الاعمال الشعرية/ج2/ من يعرف الوردة؟/ص 81.
[25] - المصدر السابق/ص93
[26] - ينظر: الاعمال الشعرية الكاملة اديب كمال الدين /م6/ ص20.
[27] - الاعمال الشعرية (من يعرف الوردة؟) ج2/ ص 86- 87.
[28] - م. ن /ص 299.
[29] - م. ن/313.
[30] _ المصدر السابق /91.
[31] - ينظر: علم المعاني /ص80.
[32] - الاعمال الشعرية (من يعرف الوردة؟) /ص41.
[33] - الأعمال الشعرية من يعرف الوردة ؟/192-193
[34] - م0ن/ 199
[35] - المصدر السابق/ 225
[36] - م0ن / 396
[37] - بلاغة الخطاب وعلم النص/ ص 199
[38] - المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع / ص 518
[39] - الأعمال الشعرية ج2/ من يعرف الوردة/ ص355
[40] - المصدر السابق/ 370
[41] - م0ن / 380
[42] - سورة النجم: الآية 430
[43] - الأعمال الشعرية ج2/من يعرف الوردة ؟/ص 314
[44] - المصدر السابق/ 375
[45] - المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع: ص 518
[46]-الأعمال الشعريةج2/ ديوان من يعرف الوردة ؟/ ص 401